المحاضرة الأولى :

عموميات حول مصادر تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني

من أجل كتابة تاريخية جادة بعيدا عن التزييف للحقائق وجب الاعتماد على مصادره، فما بالك إن كنا بصدد كتابة تاريخنا الوطني في الفترة الحديثة والمعاصرة، فقد ساد الجهل أحيانا الأمر الذي أدى إلى عدم كتابة التاريخ كما ساد التجهيل والطمس العمدي للتاريخ وذلك لقطع الجذور الحضارية للشعب الجزائري وتسهيل إدماجه.

إن سياسة العثمانيين تجاه الثقافة العامة جعلت الكتابة تنحصر في الشؤون الدينية واللغوية وفي أماكن محددة مع بعض الاستثناءات لمسناها من خلال بعض كتابات الرحالة أو التراجم المحلية والأجنبية أو بعض كتابات الأسرى

كما أن نظرة الرحالة أو الأسرى في حد ذاتها كانت تختلف حسب نظرة بلدانهم الى الجزائر أثناء القرن 16-17م ليست هي نفسها أثناء القرن 18-19م، هذا فضلا على أن كتاباتنا المحلية كانت قليلة واكتفى البعض بكتابة المخطوطات أو تدوين الرحلات ؟

كما كانت سياسة فرنسا عند احتلالها للجزائر تهدف إلى محو معالم الانتماء الحضاري للشعب الجزائري ساعية من وراء ذلك لتسهيل تذويبه في المجتمع الفرنسي ، وعلى هذا الأساس عملت على طمس التاريخ الوطني بكل الوسائل واستمرت تلك السياسة ضد التاريخ والهوية خلال كل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر

وتبقى الإشكالية هنا : هل نكتفي بقراءة ما يكتبه الآخرون عنا؟

إن كتابة تاريخنا الوطني مسالة جادة وجزء من هويتنا، ورغم الصعوبات التي ذكرتها سابقا وحب الكتابة لمعرفة الحقيقة التاريخية أو حتى الاقتراب منها .ولكتابة تاريخنا الوطني أثناء الوجود العثماني وجب العودة للمصادر الأساسية كالمخطوطات والكتابات

أ- المخطوطات

رغم قلتها أو توفرها أو الإهمال الذي عانته، إلا أنها ليست إلا جزءا من الحقيقة، لأن صاحب المخطوط عاصر بعض الأحداث أو كان قريبا منها، وبهذا نعرض تاريخنا الاجتماعي والاقتصادي كما نعرف علاقتها بالسلطة العثمانية الحاكمة وغير ذلك من الأحداث المعاصرة .

ب- الكتابات الأجنبية

تمثلت في ما كتبه الرحالة الذين زاروا الجزائر أو الأسرى أو الجواسيس، وعلى قلة هذه الكتابات إلا أنها كانت معبرة عن ظروفهم النفسية ومواقف بلدانهم تجاه بلدانهم ، التي تختلف من قرن لأخر.

ولهذه الأسباب ورغم أنها تبين لنا زوايا مجهولة في تاريخنا الوطني إلا أنها لا تعبر عن الحقيقة المطلقة ولا يمكن الأخذ بما جاءت به إلا إذا عرضناها على ما جاء في الكتابات الأجنبية الأخرى وكذا المخطوطات، ولكن على أي حال لا يمكن إهمالها أو الاستغناء عنها.

ت- الكتابات المحلية (مكتوبة أو مخطوطة)

بانحصار الثقافة أثناء الوجود العثماني قلت الكتابات المحلية، وان وجدت مست نواحي معينة مثل المخطوطات، ولكن مهما قلنا عن هذه الكتابات المحلية مطبوعة كانت أو مخطوطة إلا أنها تبقى مصدرا مهما لكتابة تاريخ الجزائر إذ بفضلها يكتشف الزيف عند عرضها على كتابات الأجانب.

ث- الأرشيف

على انتشار الارشيف خلال الفترة العثمانية إلا أننا بفضله نعرف تاريخنا الاقتصادي والاجتماعي وعلاقاتنا مع الدول .

هذه نظرة مختصرة عن مصادر تاريخ الجزائر أثناء الفترة الممتدة بين 1519-1830.